تقديم

.. وقرأت مسودة كتاب القوة الناعمة فألفته كتاباً جديراً بالترجمة والقراءة؛ فالمؤلف مساعد سابق لوزير الدفاع الأمريكي، ويعلم مصادر ووسائل القوة الصلبة والناعمة؛ ولئن كانت أسرار القوة الصلبة حكراً على ملاك الأسلحة الفتاكة فإن أسرار الأسلحة الناعمة متاحة ومعروضة؛ فهي التي تجعل الآخرين يعجبون بمُثُلِك وتغريهم مبادئك.

إن القوة الناعمة – كما يقول المؤلف – سلاح مؤثر يحقق الأهداف عن طريق الجاذبية بدلاً من الإرغام أو دفع الأموال، فرسالة ابن الرئيس الباكستاني مشرَّف إلى والده من بوسطن كانت – كما يقول المؤلف – مما ساعد في تغيير سياسة والده وتأييد أمريكا في حربها لأفغانستان، ومثله الطلاب الآخرون؛ يقول كولن باول وزير الخارجية الأمريكي السابق: لا أستطيع أن أفكر في رصيد لبلدنا أثمن من صداقة قادة عالم المستقبل الذين تلقوا تعليمهم هنا؛ ذلك أن الطلبة الدوليين يعودون إلى أوطانهم في العادة بتقدير أكبر للقيم والمؤسسات الأمريكية، وكما هو وارد في تقرير لمجموعة تعليمية دولية فإن ملايين الناس الذين درسوا في الولايات المتحدة على مدى سنوات يشكلون خزاناً رائعاً للنوايا الحسنة تجاه بلدنا، وكثير من هؤلاء الطلبة السابقين ينتهي بهم الأمر إلى احتلال مراكز يستطيعون من خلالها التأثير على نتائج السياسة التي هي مهمة للأمريكيين.

OBEIKAN.COM

ويشير المؤلف إلى جدار برلين فيقول: جدار برلين كان قد تم اختراقه بالتلفيزيون والأفلام السينمائية قبل زمن طويل من سقوطه في عام 1989؛ ذاك أن المطارق والجرافات ما كانت لتنتج لولا انتقال الصور المبثوثة من ثقافة الغرب الشعبية على مدى سنوات طوال فاخترقت الجدار قبل أن يسقط.

ويتناول مصادر القوة الناعمة عند أمريكا، فهي أكبر مصدر للأفلام والبرامج التليفزيونية في العالم، وفيها أكثر من 86 ألف باحث أجنبي، وتمثل المرتبة الأولى في الفوز بجوائز نوبل في الفيزياء والكيمياء والاقتصاد، وتنشر كتباً أكثر من أي بلد آخر، ويوجد فيها 28٪ من بين مليون وست مئة ألف طالب مسجلين في جامعات خارج بلدانهم.

وبعد إن كانت لديهم قوة ناعمة فلدينا قُوى ناعمة أكثر ولكننا عنها غافلون، إنها في قيمنا الإسلامية الخالدة إن آتانا الله الرَّشَدَ.

د/ عبدالعزيز بن عبد الرحمن الثنيان

OBEIKAN.COM

مقدمة

في عام 2003، كنت جالساً بين المستمعين في المنبر الاقتصادي العالمي في دافوس بسويسرا، عندما وجه جورج كاري، الرئيس الأسبق لأساقفة كانتربري سؤالاً لوزير الخارجية كولن باول عن سبب تركيز أميركا على قوتها الصلبة فقط بدلاً من قوتها الناعمة. فأثار السؤال اهتمامي لأنني كنت قد وضعت اصطلاح "القوة الناعمة". فأعطى الوزير باول رداً صحيحاً بقوله: إن الولايات المتحدة قد احتاجت إلى قوة صلبة لتكسب الحرب العالمية الثانية، ولكنه تابع يقول: "وما الذي أعقب القوة الصلبة مباشرة؟ هل سعت الولايات المتحدة للسيطرة على أمة واحدة في أوروبا؟ كلا. فقد جاءت بالقوة الناعمة في خطة مارشال... وقد فعلنا الشيء نفسه في اليابان"[1]. وفي وقت لاحق من العام نفسه، تحدثت عن القوة الناعمة في مؤتمر شارك في رعايته الجيش الأميركي في واشنطن. وكان من بين المتكلمين الآخرين وزير الدفاع دونالد رامسفيلد. وحسبما ما جاء في تقرير صحفي فإن "كبار القادة العسكريين قد أنصتوا بتعاطف" لآرائي. ولكن عندما سأل المستمعون رامسفيلد فيما بعد عن رأيه في القوة الناعمة أجاب: "أنا لا أعرف ماذا تعني"[2].

وهذا جزء من مشكلتنا فبعض قادتنا لا يفهمون الأهمية الحساسة للقوة الناعمة في عالمنا المعاد تنظيمه فيما بعد الحادي عشر من أيلول.

وكما لاحظ الرئيس السابق في مجلس النواب نيوت غينغريتش حول نهج إدارة بوش في العراق: "أن المفتاح الحقيقي ليس في عدد الأعداء الذين أقتلهم، بل إن المفتاح الحقيقي هو عدد الحلفاء الذين أكسبهم، وهذا مؤشر مهم لا يفهمونه أبدا[3]. ذلك أن إحدى "قواعد"

OBEIKAN.COM

رامسفيلد هي أن "الضعف يحرض عليك الآخرين"[4]. وهو محقٌ في ذلك إلى حدٍّ ما. وباعتباري مساعداً سابقاً لوزير الدفاع، فإنني آخر شخص قد ينكر أهمية احتفاظنا بقوتنا العسكرية. وكما لاحظ أسامة ابن لادن، فإن الناس يحبون الحصان القوي. ولكن القوة تأتي بأزياء ومظاهر كثيرة، والقوة الناعمة ليست ضعفاً، بل هي شكل من أشكال القوة، والفشل في دمجها باستراتيجيتنا الوطنية غلطة خطيرة.

فما هي القوة الناعمة؟ إنها القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً من الإرغام أو دفع الأموال. وهي تنشأ من جاذبية ثقافة بلد ما، ومثله السياسة، وسياساته. فعندما تبدو سياستنا مشروعة في عيون الآخرين، تتسع قوتنا الناعمة. ولقد كان لدى أميركا الكثير من القوى الناعمة منذ زمن طويل. فكّروا في تأثير الحريات الأربع التي تبنّاها الرئيس فرانكلين روزفلت في أوروبا عند نهاية الحرب العالمية الثانية؛ فكروا في الشباب الذين كانوا خلف الستار الحديدي وهم يستمعون إلى الموسيقى الأميركية ونشرات أخبار إذاعة أوروبا الحرة؛ والطلبة الصينيين وهم يرمزون في احتجاجاتهم في ساحة تيانانمين بخلق نسخةٍ من تمثال الحرية؛ وفي الأفغان المتحررين حديثا في عام 2001 وهم يطلبون نسخة من لائحة الحقوق؛ وفكروا في الشباب الإيرانيين اليوم وهم يتفرجون خلسة على أشرطة الفيديو الأمريكية الممنوعة وما تذيعه تلفزيونات الأقمار الصناعية في داخل خصوصيات بيوتهم فهذه كلها أمثلة من قوة أمريكا الناعمة فعندما تتمكن من جعل الآخرين يعجبون بمُثُلِك ويريدون ما تريد، فإنك لن تضطر إلى الإنفاق كثيراً على العصي والجزرات (أي على عوامل الإرغام والإغراء) لتحريكهم في اتجاهك فالإغراء أكثر فاعلية من الإرغام على الدوام، وكثير من القيم مثل الديمقراطية، وحقوق

الإنسان، وإتاحة الفرص للأفراد لها قدرة عميقة على الإغراء. وكما قال الجنرال ويسلي كلارك فإن القوة الناعمة "قد أعطتنا تأثيراً أبعد بكثير من الحافة الصلبة لسياسات ميزان القوى التقليدية"[5] ولكن الجاذبية يمكن أن تنقلب إلى نفور إذا تصرفنا بغطرسة ودمرنا الرسالة الحقيقية لقيمنا الأعمق.

ولعل أميركا أقوى من أي دولة أخرى منذ الإمبراطورية الرومانية، ولكن أميركا مثل روما ليست قوة لا تقهر، ولا هي عديمة التعرض للعطب والانكشاف. فروما لم تخضع لنشوء إمبراطورية أخرى، ولكنها تداعت أمام موجة من هجمات البرابرة. والإرهابيون المستخدمون للتقنيات الحديثة العليا هم البرابرة الجدد. وبينما يتعمق العالم في سبيله لخوض صراع مع الإرهاب يتضح بشكل متزايد أن عوامل كثيرة تقع خارج السيطرة الأميركية. فالولايات المتحدة لا تستطيع وحدها أن تصطاد كل مشتبه به من قادة القاعدة يختفي في أصقاع الدنيا النائية. ولا تستطيع أن تشن حرباً كلما رغبت دون أن تنفر بلداناً أخرى وتخسر التعاون الذي تحتاج إليه لكسب السلام.

ولقد كانت حرب الأسابيع الأربعة في العراق في ربيع عام 2003 عرضاً باهراً لقوة أميركا العسكرية الصلبة التي أسقطت طاغية، ولكنها كانت باهظة التكاليف لقوتنا الناعمة - أي لقدرتنا على اجتذاب الآخرين إلى جانبنا. ففي أعقاب الحرب أظهر استطلاع للرأي أجراه مركز بيو للبحوث هبوطاً مفاجئاً حاداً في شعبية الولايات المتحدة الأميركية بالمقارنة مع الحالة قبل ذلك بعام، حتى في بلدان مثل إسبانيا وإيطاليا اللتين قدمت حكومتا لهما دعماً للجهد الحربي، كما هبطت مكانة أميركا هبوطاً عمودياً ثقيلاً في البلدان الإسلامية، من المغرب إلى تركيا إلى جنوب شرقي آسيا. ومع ذلك فإن الولايات

المتحدة سوف تحتاج إلى مساعدة هذه البلدان على المدى الطويل لتعقب تدفق الإرهابيين، والأموال الملوثة، والأسلحة الخطرة. وكما قالت صحيفة الفايننشال تايمز: "ولذا فإنه من أجل كسب السلام، يتعين على الولايات المتحدة أن تظهر براعة كبيرة في ممارسة القوة الناعمة كما أظهرت براعتها في ممارسة القوة الصلبة لكسب الحرب"(6).

ولقد قمت بتطوير مفهوم "القوة الناعمة" لأول مرة في كتابي: «**ملزمون بالقيادة**»، الذي نشرته عام 1990، والذي عارض الرأي السائد عندئذٍ والقائل بأن أميركا آخذة في الانحدار. فأشرت إلى أن أميركا هي أقوى أمة، ليس في القوة العسكرية والاقتصادية فحسب، بل كذلك في بُعدٍ ثالث أسميته القوة الناعمة. وفي السنوات اللاحقة، سَرَّتني رؤية المفهوم وهو يدخل في مجال الأحاديث والخطب العامة، فيستخدمه وزير الخارجية الأميركي والبريطاني، والزعماء السياسيون وكتاب المقالات الافتتاحية، وكذلك الدارسون الجامعيون حول العالم. غير أن بعض الناس قد أساؤوا فهمه في الوقت نفسه، فأساؤوا استعماله، وجعلوه تافهاً لا يزيد على تأثير الكوكا كولا، وهوليود، وسراويل الجينز القطنية الزرقاء، والمال. وكان من الأشياء الأكثر إحباطا رؤية بعض صناع السياسة يتجاهلون أهمية قوتنا الناعمة فيجعلوننا جميعاً ندفع الثمن بتبديد هذه القوة دون ضرورة لذلك.

وعدتُ إلى القوة الناعمة في عام 2001، بينما كنت أؤلف كتابي «**مفارقة القوة الأميركية**»، وهو كتاب يحذر من نزعة الزهو بالانتصار وهي الغلطة المعاكسة لنزعة الشعور بالانحدار التي كنت قد حذَّرتُ منها في عام 1990. فكتبت عن القوة الناعمة دزينة من الصفحات، ولكنها كانت جزءاً صغيراً فقط من مناقشة أوسع للعمل متعدد الأطراف والسياسة الخارجية. وحثّني الأصدقاء والنقاد بقولهم إنني

بحاجة إلى استكشاف مفهوم القوة الناعمة وتطويره بصورة أكمل إن أردت أن يتم فهمه واستخدامه في السياسة الخارجية بصورة مناسبة. وذلك هو الغرض من هذا الكتاب.

فهذا الكتاب يعكس العلاقات الدولية المشحونة التي نشأت قبل الحرب على العراق، وأثناءها، وبعدها. فعلى عكس حرب الخليج عام 1991 عندما أقام جورج بوش الأب تحالفاً واسعاً، قرر جورج ووكر بوش الابن أن يهاجم العراق عام 2003 بدون قرار ثانٍ من الأمم المتحدة ومع ائتلاف صغير فقط من الدول المؤيدة. وبعمله هذا تملص من قيود التحالفات والمؤسسات التي كان الكثيرون في إدارته يتحرقون من الغيظ تحت وطأتها، ولكنه أنتج أيضا شكوكاً حول شرعية أعمالنا، وقلقاً واسع الانتشار حول كيفية استخدام الولايات المتحدة لقوتها المتفوقة. ثم إن الهبوط الحاد في جاذبية الولايات المتحدة حول العالم قد جعل من الصعب حشد التأييد لاحتلال العراق وإعادة إعماره. ذلك أن كسب السلام أصعب من كسب الحرب؛ والقوة الناعمة ضرورة جوهرية لكسب السلام ومع ذلك فإن طريقة ذهابنا إلى الحرب في العراق أثبتت أنها باهظة الكلفة على قوتنا الناعمة، تماماً كما أثبتت أنها نصر مذهل لقوتنا الصلبة.

إن القراء المطلعين على أعمالي السابقة ربما يتساءلون بحق عما هو جديد هنا، فيما عدا مناقشة الحرب على العراق. والجواب على ذلك أن الجديد هنا "كثير". وبالطبع فإنهم سيجدون تداخلات مكررة، ولاسيما في الفصل الأول، الذي يعرض المفاهيم الأساسية. ولكنني هنا حسّنتُ التعريف وطورته، ووسعتُ الأمثلة، واستخدمتُ بيانات استطلاع جديدة وبحوثاً تاريخية، واستكشفتُ تبعات القوة الناعمة وحدودها بطرق لم أستخدمها من قبل في أيٍّ من كتابيَّ السابقين. كما أن الفصل

الأول يضيف إلى تحليلي السياق المتغير للقوة في السياسة الدولية، والأسباب التي تجعل القوة الناعمة في ثقافتنا، وفي قيمنا وسياساتنا المحلية، وفي مادة سياستنا الخارجية وأسلوبها.

ونظراً لأن الأميركيين ليسوا الوحيدين الذين يملكون قوة ناعمة، فإن الفصل الثالث ينظر في القوة الناعمة لدى أمم أخرى وفاعلين آخرين من غير الدول. ويتفحص الفصل الرابع المشاكل العملية في براعة استخدام القوة الناعمة عن طريق الدبلوماسية العامة، بينما يلخص الفصل الختامي معنى ذلك كله بالنسبة لسياسة الولايات المتحدة الخارجية في أعقاب الحرب على العراق.

إن الأميركيين - وغيرهم - يواجهون تحدياً لا سابقة له من الجانب المظلم من العولمة، وخصخصة الحرب التي راحت ترافق التكنولوجيات الجديدة. وهذا هو التركيز المناسب لاستراتيجيتنا الجيدة للأمن القومي، الذي يلخص أحيانا بالحرب على الإرهاب. وكما كانت عليه الحال في الحرب الباردة، فإن التهديدات التي تمثلها أشكال الإرهاب المختلفة لن يتم حلها بسرعة، وستلعب القوة العسكرية الصلبة دوراً حيوياً. ولكن الحكومة الأميركية تصرف أربع مئة ضعف على القوة الناعمة. ومثل تحدي الحرب الباردة، فإن هذا التحدي لا يمكن مجابهته بالقوة العسكرية وحدها. ولهذا فإن من الجوهري أن يتفهم الأميركيون - وغيرهم - القوة الناعمة ويطبقوها بصورة أفضل. أمّا القوة الذكية فهي ليست صلبة ولا ناعمة بل هي مزيج منهما معاً.

جوزيف س. ناي الأصغر

ساندويتش، نيوهامبشاير

كانون الثاني/ يناير 2004

OBEIKAN.COM

إشـادات

بالرغم من أنني قد أكون مخترع مفهوم القوة الناعمة، فإن هذا الكتاب ليس لي وحدي. بل إنني مدين لمساهمة عدد من الناس فيه. ويجب أن يكون على رأس القائمة ماثيو كوهوت، مساعدي الممتاز في البحث، الذي قدم أفكاراً ومقترحات ثمينة، وكذلك سلاسل لا تنتهي من البيانات. وكان واسع الخيال بلا كلل في جهوده. وقبل الذهاب إلى مدرسة الخريجين كانت الكساندرا سكاكو تؤدي هذا الدور بقوة وذكاء مماثلين لما عند كوهوت. وقد اتخذ عدد كبير من اقتراحاتها طريقه إلى داخل الكتاب. أما سلفها نيل روزندورف فلم يعمل في هذا الكتاب بشكل مباشر، ولكنه ساعد على تعريفي بتاريخ الدبلوماسية الثقافية، وترك أثراً مؤكداً على الفصلين الثاني والرابع. وكنت محظوظاً بنعمة امتياز العمل مع هؤلاء الزملاء الرائعين الأصغر مني سنّاً.

وأدى تعاون عدد من الأشخاص إلى تبسيط مهام البحث إلى حد كبير. فقدم لي كل من آندرو كوهوت ونيكول سبيولدا في مركز بيو للبحوث مساعدة لا تقدر بثمن ببياناتهم. وجاءتني إسهامات ملحوظة من سالي كويزل في أرشيف المحفوظات الوطنية، وسوزان نغاريم وايرين كاريير في وزارة الخارجية، وموظفات مكتبة البحوث في جامعة هارفارد: سوزان وونز، وجولي ريفاك، وكارلا ليلفيكا.

كما أنني ممتن امتناناً عميقاً لزملائي في مدرسة كيندي للدراسات الحكومية، الذين قدموا لي بيئة من الدعم الفكري للتحليل السياسي على مدى سنوات. فقد استمددت عدداً من الأفكار من المناقشات التي كانت مجموعة الدراسات من السنوات متعددة تجريها

حول رؤى حسن إدارة الحكم في القرن الحادي والعشرين. كما جاءتني مساعدة خاصة على شكل تعليقات قيمة على مسودات الفصول من غراهام أليسون، ومارك مور، وجون راغي، وستيفن والت، وجون غودمان ويليامسون. أما الأصدقاء الآخرون، وطلبتي السابقون، وأفراد أسرتي الذين قدموا لي مساعدة قيمة، فمنهم كورت كامبل، وفين هامبسون، وستانلي هوفمان، وآن هوليك، وبيتر فيفر، وبن ناي، وستيفن يتيف. ويجب الإبقاء على تصنيف خاص لروبرت كيوهان، صديقي الحميم وشريكي المتعاون معي طيلة أكثر من ثلاثين عاما. فهم لم يقتصروا على تقديم نقد دقيق لمسودات الفصول، ولكنني تعلمت الشيء الكثير من اشتراكنا في التأليف، ومحادثاتنا على مدى السنوات، بحيث ينبغي علي أن امنحه حاشية لا تنتهي على كل شيء اكتبه. وأنا ممتن لكيت دارنتون لعملها الرائع في التحرير الذكي والمرهف الحساسية.

وكما هو الحال دائما، فإن أكبر ديوني هي لمولي هاردينغ ناي، المرأة ذات القوة الناعمة المدهشة.

OBEIKAN.COM